من ناحية تأمر الانسان بالوقوف عند حد ما يعلم (ولا تقف ما ليس لك به علم) ومن ناحية أخرى تدله على طريق استبانة الحق فيما لا يعلم ، والاستمساك بما يتبين له من الحق عن ذلك الطريق ، طريق إحسان استعمال السمع والبصر والعقل (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) وفي قوله سبحانه (كل أولئك كان عنه مسئولاً) في موقعها من الآية تقرير مسئولية الانسان عند ربه عن حواسه وعقله كيف لم يستعملهن عند الشك حتى يتبين وجه اليقين ، وكيف حين استعملهن لم يحسن استعمالهن ، أم كيف وقد أحسن استعمالهن لم يستمسك بما وصل اليه من الحق عن طريقهن حتى صار هو ومن أهلهن سواء . ولو حاول العلم أن يزيد في توكيد أصوله على هذا ما استطاع ، ثم هو ليس ببالغ شأو الدين في هذا التوكيد لأنه لا يملك لمهمل أصوله حساباً ولا عقاباً

* * *

وبعد ، فلعلنا نكون قد وفينا هذا الموضوع الخطير بعض حقه من البحث ، وبلغنا الغرض الذي بدأنا هذا البحث من أجله، وأثبتنا أن العلم الحديث بينه وبين الاسلام كل ما بين الجزء والكل من تطابق ما دام قد ثبت أنه قرآني الموضوع والاسم والروح والطريقة ؛ فهو بجملته وتفصيله قطعة من الاسلام ، حتى فروضه العلمية ونظرياته التي يتلمس بها سنن الفطرة لها في الاسلام متسع ، لأنها ليست الا ضربا من الاجتهاد الذي يثيبه الله عليه المجتهد ، أخطأ أم أصاب . وهذا التطابق العجيب بين العلم والاسلام هو الذي كان متوقعاً ما دام الاسلام هو دين الفطرة ، وما دام العلم قد أصاب الفطرة وإن في بعض نواحيها . وليس يمنع العلم أن يصيب الفطرة في بعضها الآخر المتعلق بحياة الانسان الاجتماعية . الا أن هذه الحياة خارج نطاقه ، وستظل كذلك لامتناع إخضاع الفرد بله الجماعة للتجربة العلمية والاختبار . فليس هناك للانسانية إذن أي أمل في أن تصيب سنن الفطرة في الاجتماع عن طريق العلم ، فهي لن تزال في مدنيتها بعيدة عن سنن الفطرة وعن سبل السلام حتى تقيم وجهها للدين حنيفاً (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله)

محمد أحمد الغمراوي

أعلام الاسلام

محمد بن شهاب الزهري

بقلم السيد ناجي الطنطاوي

محمد بن شهاب الزهري ، علم من أعلام التابعين ، واماء جليل من أئمة المسلمين ، روى الحديث عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبناء أصحابه . وكان نادرة في الذكاء وقوة الحافظة والصبر على طلب العلم ، ثقة ، أميناً في الاسناد شهد له الخلفاء والعلماء بالتفوق والفضل حتى قال ابن تيمية : حفظ الزهري الاسلام نحواً من سبعين سنة ، وكان مع ذلك سخياً كريماً يبذل ماله في سبيل العلم

اسمه ونسبه ومولده

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله ابن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة[1] ، أبو بكر القرشي الزهري . سمي بالزهري نسبة الى زهرة بن كلاب ، كان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرا ، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحُد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلنّه أو ليقتلنّ دونه . وقد سئل الزهري مرة : هل شهد جدك بدرا ؟ قال نعم ، ولكن من ذلك الجانب ! أي من جانب قريش

وانتسب الزهري مرة أمام هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : ان كان أبوك لنفّارا في الفتن ، فقال : يا أمير المؤمنين عفا الله عما سلف

وقال : نشأت وأنا غلام ، ولا مال لي ، منقطع الديوان ، فكنت أتعلم نسب قومي من عبد الله بن ثعلبة ، وكان عالماً بنسبهم وهو ابن أختهم وحليفهم

وقال ابن حبيب : لم يكن له كتاب الا كتاب فيه نسب قومه ، أما سنه وولادته فلم تعلم على وجه الصحة لاختلاف

(١) مرة أبو قبيلة كبيرة من قريش ، منها آمنة بنت وهب والدة رسول الله صلى الله عليه وسلم

رخين فيها فهى إما سنة ٥٠ أو سنة ٥١ أو سنة ٥٢ ، وقيل سنة ٥٨

:

قال سفيان[1]: رأيت الزهرى أحمر الرأس واللحية ، وفى حمرتها كفاء[2] قليل ، كأنه يجعل فيها كَتَما[3] ، وكان أعيمش[4] عليه جُحَيحة[5] وكان رجلا قصيرا ، قليل اللحية ، له شعرات لوال ، خفيف العارضين

به العلم

دخل مرة على عبد الملك بن مروان ، فذاكره عبد الملك ، فرأى فيه نباهة فوصله ، وأمر له بشراء دار قطيعة بالمدينة ، ورزق يجرى عليه ، وأعطاه خادماً وقال له : اذهب فاطلب العلم ، فانى أرى لك عينا حافظة ، وقلبا ذكياً ، وائت الأنصار فى منازلهم . قال : فأتيت المدينة ، فاذا عند الأنصار علم جمّ ، فأخذته عنهم

وقال ابراهيم[6] بن سعد : ما سبقنا الزهرى بشىء من العلم إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد ، وكنا نمتنعا الحداثة

وقال أبو الزناد : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس بعد أن كنا نطوف نحن وإياه معنا الألواح والصحف ونحن نضحك به ، وكان يكتب الحديث فيحفظه ثم يمحوه

وقال صالح بن كيسان : كنت أطلب العلم أنا والزهرى فقال : تعال نكتب السنن فكتبناها ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : تعال نكتب ما جاء عن الصحابة فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت

قوة حافظته

كان يقول : ما استودعت قلبى شيئاً قط فنسيته ، وكان يكره أكل التفاح وسؤر الفأر ويقول إنه ينسى ، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكر . وقال : كتب عبد الملك الى أهل المدينة كتاباً فى طومارين يعاتبهم به ، فقرىء على الناس عند المنبر ، ولم يكن سعيد بن المسيب حاضرا ، فلما انفض الجمع قال سعيد لجلسائه : ما كان فى ذلك الكتاب ؟ ليت أنا وجدنا من يعرف لنا ما فيه ، فلم يتكلم أحد . فقلت له : أتحب أن تسمع كل ما فيه ؟ قال نعم قال : فقرأته له من أوله الى آخره لم أنس منه كلمة

وقال : ما استفهمت عالماً قط ، ولا رددت شيئاً على عالم قط يعنى أنه كان يحفظ ويفهم من أول مرة

وقال الامام مالك : حدثنى الزهرى بحديث طويل فلم أحفظه فسألته عنه مرة ثانية فقال لى : أليس قد حدثتكم به ؟ فقلت : بلى ، فأردت أن أستخرجه ، فقلت له : أما كنت تكتب ما تسمع ؟ فقال : لا فقلت : أما كنت تستعيد ؟ فقال : لا

وقال مالك حدثنا الزهرى بمائة حديث ، ثم التفت إلىّ وقال : كم حفظت يا مالك ؟ فقلت : أربعين حديثا ، فوضع يده على جبهته ثم قال : إنا لله ، كيف تقص الحفظ ؟

وقال سعيد بن عبد العزيز : سأل هشام بن عبد الملك الزهرى أن يملى على بعض ولده ، فدعا بكاتب فأملى عليه أربعمائة حديث

ثم إن هشاماً قال له : ان ذلك الكتاب قد ضاع ، فدعا الكاتب فأملاها عليه ، ثم قابله هشام بالكتاب الأول فما غادر حرفاً

منزلته عند الخلفاء

كان عمر بن عبد العزيز يقول : عليكم بابن شهاب ، فانكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه . قال معمر وإن الحسن وضرباءه لأحياء يومئذ . وقال عمر بن عبد العزيز أيضاً : ما ساق الحديث مثل الزهرى ، وما أتاك به الزهرى بسنده فاشدد يدك عليه

(١) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى الكوفى . محدث الحرم كان حافظاً ثقة ، واسع العلم كبير القدر . قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وكان أعور وحج سبعين سنة . ولد بالكوفة وتوفى بمكة سنة ١٩٨

(٢) الانكفاء : تغير اللون

(٣) الكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر

(٤) العمش : ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها فى أكثر أوقاتها

(٥) تصغير جحة وهى ما سقط على المنكبين من شعر الرأس

(٦) هو ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، أبو اسحاق الزهرى ، من أهل المدينة ، نزل بغداد وأقام بها إلى حين وفاته ، وأكرمه الرشيد وأظهر بره . كان محدثاً ثقة ، وكان من أكثر أهل المدينة حديثاً فى زمانه ، وكان أبوه على قضاء المدينة من جلة المسلمين ، توفى سنة ١٨٣

وقد تقدم قول عبد الملك بن مروان له : إني أرى لك عيناً حافظة وقلباً ذكياً

وقال : لما توفى عبد الملك لزمت الوليد [1] ، ثم لزمت هشاماً بعده وحججت معه سنة ١٠٦ فكنت مع ولده أعلمهم وأفقههم وأحدثهم ولم أفارقهم حتى مات هشام بالمدينة

منزلته عند العلماء

قالوا : كان الزهرى ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيهاً جامعاً وقال الليث عن جعفر بن ربيعة : قلت لعراك بن مالك من أفقه أهل المدينة ، فذكر سعيد بن المسيب ، وعروة [2] وعبد الله بن عبد الله ، قال عراك : وأعلمهم عندى جميعاً ابن شهاب لأنه جمع علمهم إلى علمه

وقال مكحول [3] : ما بقى على ظهرها أعلم بسنة باقية من الزهرى وقال أيوب [4] : ما رأيت أحداً أعلم من الزهرى . فقال له صخر بن جويريه : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أعلم من الزهرى وقال عمرو بن دينار : مثل هذا القرشى ما رأيت قط ، وقال سعيد ابن عبد الرحمن بن جنبل : لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن ، وقال سفيان بن عيينة : جالست الحسن وغيره ، فما رأيت مثل الزهرى وقال الامام مالك : بقى ابن شهاب ، وماله فى الناس نظير ، وكان إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد حتى يخرج منها . وقد اتفق الأئمة على أن الزهرى مات يوم مات وهو أعلم الناس بالسنة ، واتفقوا على أنه كان أفقه من الحكم وحماد وقتاده وقال السمعانى [1] : كان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً لمتن الأخبار ، وكان فقيهاً فاضلاً

قال ابن عيينة : ما رأيت أنص للحديث من الزهرى

سعة علمه

قال على بن المدينى : له نحو ألفى حديث . وقال أبو داود [2] جميع حديث الزهرى ألفا حديث ومائتا حديث نصفها مسند

وقال مالك : لقد أدركنا فى مسجد المدينة سبعين ممن يروى الحديث وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أميناً ، أخذت منهم شيئاً ، لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، وقدم على الزهرى وهو شاب فازدحمنا على بابه

وقدم أحمد [3] بن صالح العراق من مصر ليرى أحمد ابن حنبل [4] ، فاستأذن اليه فأذن له ، وقام اليه ورحب به وقربه وقال له : بلغنى أنك جمعت حديث الزهرى ، فتعال حتى نذكر ما روى الزهرى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر حتى فرغا ، قال الراوى وما رأيت أحسن من مذاكرتهما . ثم قال أحمد بن حنبل لأحمد ابن صالح : تعال حتى نذكر ما روى الزهرى عن أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر ، الى أن قال أحمد بن حنبل : عن الزهرى عن محمد بن جبير ابن مطعم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما يسرنى أن لى حمر النعم ، وأنى حلف الطيبين . فقال أحمد بن صالح سألتك بالله إلا أمليته علىّ . وقال : لو لم أستفد

---

(١) ذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء أن الزهرى كان يقدح أبدا عند هشام فى الوليد ويعيبه ، ويقول ما يحل لك إلا خلعه فما يستطيع هشام ، وأنه لو بقى الزهرى إلى أن يملك الوليد لفتك به

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى : أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالماً بالدين ، صالحا كريماً ، لم يدخل فى شىء من الفتن ، وقدم مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ، وعاد إلى المدينة فتوفى فيها ، وبئر «عروة» بالمدينة منسوبة اليه ، توفى سنة ٩٣

(٣) هو مكحول بن شهراب (وقيل ابن عبد الله) بن شاذل ، فقيه الشام فى عصره ، من حفاظ الحديث ، كان مولى لامرأة من هذيل ، وأعتق فسكن دمشق ، وتوفى بها سنة ١١٢ ، قال عنه الزهرى : لم يكن فى زمنه أبصر منه بالفتيا

(٤) هو أبو بكر أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى البصرى ، سيد فقهاء عصره ، تابعى ، من حفاظ الحديث ، كان ثبتاً ثقة ، توفى سنة ١٣١

(١) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعانى التميمى أبو المظفر ، مفسر من العلماء بالحديث ، من أهل مرو توفى سنة ٤٨٩

(٢) هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدى السجستانى إمام أهل الحديث فى زمانه ، أصله من سجستان ، ورحل رحلة كبيرة ، وتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥

(٣) هو أحمد بن صالح ، أبو جعفر المصرى ، كان حافظاً للأثر ، عالماً بعلل الحديث ، ثقة ؛ ورد بغداد ثم رجع إلى مصر وأقام بها حتى توفى سنة ٢٤٨

(٤) هو أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل ، إمام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة ؛ ولد فى بغداد ونشأ مكباً على طلب العلم ، وسافر فى سبيله أسفاراً كثيرة ، وسجنه المعتصم ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن ثم أطلقه ، ولم يعبه شىء فى زمن الواثق ، ولما تولى المتوكل أكرمه وقدمه ومكث مدة لا يولى أحدا إلا بمشورته ، توفى فى زمن المتوكل سنة ٢٤١

بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيراً

وقال الليث بن سعد : ما رأيت عالماً قط أجمع للعلم من ابن شهاب . لو سمعته يحدث فى الترغيب ، لقلت ما يحسن إلا هذا ؛ وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتب ، لقلت ذلك ؛ وإن حدث عن الأعراب والأنساب لقلت ما يحسن إلا هذا . قال ابن إسحاق [1] : سألت الزهرى عن شىء ، فقال ما بقى أحد فيما بين المشرق والمغرب أعلم بهذا منى

وكان يقول : مكثت خمسا وأربعين سنة أنقل أحاديث أهل الشام إلى الحجاز ، وأحاديث أهل الحجاز إلى الشام ، فما أجد أحدا يطرفنى بحديث لم أسمعه

سخاؤه

قال الليث : وكان من أسخى الناس ، كان يعطى كل من جاءه وسأله ، حتى كان يقترض من عبيده ولا يرى بذلك بأساً ، فقيض الله له على قدر صبره واحتماله : إما رجلاً يهدى له ما يسع السائلين ، وإما رجلاً يبيعه بنظرة ، وكان يطعم الناس الثريد فى الخصب وغيره ويسقيهم العسل ، وكان يسمر مع أصحابه على العسل

ونزل بماء من المياه مرة ، فقال له أهل الماء : إن لنا ثمانى عشرة امرأة مسنة ليس لهن خادم ، فاستسلف ثمانية عشر ألفاً فأخدم كل واحدة منهنّ خادماً بألف ، وقضى عنه هشام سبعة آلاف دينار وقال له لا تعد لمثلها تدان ، فقال الزهرى يا أمير المؤمنين حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين

وأخدم الزهرى فى ليلة واحدة خمس عشرة امرأة من بنى زهرة خمس عشرة وليدة ، اشترى كل وليدة بثلاثين ديناراً

وقيل له إن الناس لا يميلون عليك إلا كثرة الدين ، فقال : وكم دينى ؟ إنما دينى عشرون ألف دينار ، وليس يرثنى إلا ابن أخى هذا ، وما أبالى ألا يرث عنى شيئاً

وكان يقول : وجدنا السخاء لا تنفعه التجارب

وقال الامام مالك : كان الزهرى من أسخى الناس ، فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت ما مر عليك من الضيق والشدة ، فانظر كيف تكون وأمسك عليك مالك . فقال له : ويحك ، إنى لم أر الكريم تحنكه التجارب

فقال الحسين بن عبد الله الكاتب فى هذا المعنى :

له سحائب جود فى أنامله ... أمطارها الفضة البيضاء والذهب

يقول فى العسر إن أيسرت ثانية ... أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب

حتى إذا غاد أيام اليسار له ... رأيت أمواله فى الناس تنتهب

ومرّ به رجل من التجار وهو فى قريته ، والرجل يريد الحج ، فابتاع منه بزاً بأربعمائة دينار الى أن يرجع من حجّه ، فلم يبرح عنه الرجل حتى فرّقه . . . فعرف الزهرى فى وجه الرجل ما كره . فلما رجع من حجّه قضاه ذلك وأمر له بثلاثين ديناراً ينفقها فى سفره . فقال له الزهرى كأنى رأيتك يومئذ ساء ظنّك فقال : أجل . فقال : والله لم أفعل ذلك إلا للتجارة : أعطى القليل فأعطى الكثير !

وكان يخرج الى الأعراب يفقههم ويعطيهم فجاءه رجل وقد نفد ما فى يده ، فمد الزهرى يده إلى عمامة عقيل فنزعها وأعطاها الرجل ، وقال لعقيل : أعطيك خيراً منها .

وقال له زياد بن أسعد : إن حديثك ليعجبنى ، ولكن ليست معى نفقة فأتبعك . فقال له : اتبعنى أحدثك وأنفق عليك !

وفاته

كان له ضيعة فى شغب : وهى أول عمل فى فلسطين ، وآخر عمل الحجاز ، توفى فيها فى رمضان سنة ١٢٤ على أصح الروايات ودفن فى نشز من الأرض ، وقبره قائم على الطريق ليدعو له كل من مرّ عليه . قال الأوزاعى : رأيت قبره هناك مسنماً مجصصاً مبيضاً فقلت : يا قبر كم فيك من حلم وعلم ؟

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً مصرياً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثالثة (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد فى الخارج ١٥ قرشاً

[1] هو محمد بن اسحاق بن يسار المطلبى المدنى ، أبو بكر ، من أهل المدينة ، زار الاسكندرية وسكن بغداد فمات فيها سنة ١٥١ قال ابن حبان لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن اسحاق فى علمه أو يوازيه فى جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقاً للاخبار